



في الماضي بقعة عرقية رائعة من بقاع أذربيجان، ما زالت تجذب الاهتمام إليها من قِبل السائحين، الذين يظلون مبهورين بما يشاهدونه فيها بعد زيارتها.

المراجع

- ١١، موسكو، ١٩٦٣.
- ف. مينورسكي. تاريخ شيروان وديربند خلال القرن ١٠-١١، ميونسكو ف. // حول العالم، ١٩٨٤، العدد رقم ٣.
- قوليف ج. أ. تقى زاده ن. المعدن والحرفة الشعبية. باكو، ١٩٦٨.
- يفيتسكي أ. الوصف الإحصائي لمنطقة ما وراء القوقاز. سان بطرسبورج، ١٨٣٥.
- ”التقويم القوقازي“ لعام ١٨٥١. تفليس، ١٨٥٠.
- ”التقويم القوقازي“ لعام ١٨٥١. تفليس، ١٨٥٠.
- ”مدونات الجمعية القوقازية للريف“. تفليس، ١٨٧٣.
- إفندي ر. نماذج من الحرف الأذربيجانية في متاحف أوروبا. مجلة ”جويستان“، عدد الربيع، ١٩٦٩.

لقد احتفظت الحياة الروحية للاهيجيين حتى يومنا هذا بالتقاليد والعادات والطقوس القديمة، والتي تتمتع بروابط مشتركة وتأثير متبادل على نحو لصيق بالدرجة الأولى مع شمال شرق المنطقة العرقية لأذربيجان، والتي تنتمي إليها لاجيتش من الناحية الإقليمية. وقد ترك الأذريون باعتبارهم القومية الرئيسة في الجمهورية، تأثيراً كبيراً على العديد من عناصر الثقافة المادية والروحية للسكان التتانيين الناطقين باللغة الإيرانية في لاهيج. وقد ساعد على هذه الظاهرة التقدمية العلاقات الودية القديمة بين جميع المجموعات العرقية، التي عاشت معاً حياة مشتركة عبر القرون، ومارست عملاً ونشاطاً مشتركاً على أرض أذربيجان العريقة.

وتتمتع اليوم بقيمة كبيرة مثل هذه المهن التقليدية في الماضي، مثل المنتجات النحاسية، والحدادة، وصناعة الجلود. فمثل هذه الحرف لا تختفي، وتظل التقاليد وبصورة رئيسة المتمثلة في حرفة النحاسيين، تعيش بين سكان لاهيج كما كانت في الماضي. وتظل لاهيج التي تتمتع بأصالة جلية واضحة، كما كانت

البلدة أية تغيرات جوهرية. وما زالت الميادين بها حتى يومنا هذا تلعب دوراً اجتماعياً هاماً.

من حيث المظهر الخارجى فإن لاهيج تبدو كبلدة صغيرة بشوارعها الجيدة المبلطة بألواح الفسيفساء الحجرية الناعمة، وتتميز عن بعض القرى الأخرى المشابهة لها بتمتعها بكل سبل الراحة والمرافق. ومن وجهة النظر هذه فإن ما يجذب الاهتمام بصورة خاصة، البيت التقليدى للاهيجيين فى البلدة، والذى يتميز بتفرده، مثله فى ذلك مثل مشغولاتهم الحرفية، وقد ساعد على تميز خصائص البيت اللاهيجى تفرد الحياة الخاصة والإنتاج الحرفى. فعلى سبيل المثال كان هناك العديد من ورش النحاسين والحدادة التى تتصل ببيت الحرفى نفسه: فمن الورشة يوجد مخرج يؤدي إلى فناء البيت. وقد ظلت البيوت القديمة قائمة حتى يومنا هذا، وفى تخطيط لاهيج لم تحدث تغيرات كبيرة منذ الأعوام السابقة. وبسبب عدم وجود مساحات شاغرة من الأراضى، فإن البيت الجديد عادة ما يثبدي فى نفس مكان البيت القديم. وتتمتع بيوت لاهيج ببعض السمات المميزة لها، والتى تشهد على الثقافة المعمارية المتطورة على نحو كبير. ففى البيوت المبنية على الشارع التجارى الرئيسى، نجد أن الطوابق الأولى قد تحولت إلى ورش أو دكاكين تجارية.

أما العناصر التقليدية لداخل البيوت اللاهيجية، فهى تتمثل فى الفجوات ذات الأحجام المختلفة (تختشا، جوموقاتان) والأرفف الحائطية (رف)، والتى يضعون فوقها الأواني الخزرفية وغيرها من المواد الأخرى.

كما أن هناك سمة أخرى تتميز بها البيوت، وهى وجود الأحواض المبنية فى الجدران-«أوفارو»، بمعنى الحمام، والمخصصة للاغتسال والوضوء-«غسل».

وتتكون غالبية البيوت فى لاهيج من طابقين، ومن النادر أن تكون من طابق أو ثلاثة. ويجرى بناؤها من الأحجار المحلية الرمادية- البيضاء، مع الأخذ فى الاعتبار بالنشاط الزلزالى فى الحى.

العمالة فى مجال الإنتاج الحرفى، والفروق الاجتماعية المرتبطة بها فى الماضى، قد تركت تأثيراً قوياً على شكل القرية وبيوت البلدة. فالهيئة القديمة التى احتفظت بها حتى يومنا هذا تمنح الفرصة للحكم على بنيتها التخطيطية فى البلدة وفى القرية. وتنقسم لاهيج إلى قسمين منفصلين: لاهيج وأراكيرد، واللذان ينقسمان بدورهما إلى ثمانية أحياء. ومثل هذا التقسيم للقرية إلى قسمين أو أكثر على نمط لاهيج، يمثل سمة مميزة للمدن الأخرى فى أذربيجان، وبصورة عامة فى كل القوقاز وآسيا الوسطى. وتضم البنية الهيكلية للاهيج تقسيماً للأحياء طبقاً للمعلم الحرفى الخاص بسكان كل حى. وتقع كل القرية على امتداد نهر قيردمان- شاي لمسافة كيلومترين تقريباً. ويتمتع كل حى بميدان، وجامع، وحمام، والمقابر الخاصة به.

لقد احتفظت لاهيج بأصالتها بصرف النظر عن الروابط التجارية الحرفية اللصيقة مع المدن الأخرى، ولم يكتسب شكل





والملبوسات الجلدية الدافئة، وأغلفة الكتب الجلدية، والأسرجة، والتي صنعوها بدرجة عالية من الحرفية والذوق الرفيع. وعلى أساس حرفة صناعة الجلود المحلية المتطورة، والتي تتسم بالطابع اليدوي، ازدهر العديد من الحرف الأخرى، مثل: حرفة السراجة، وصناعة الأسرج، وصناعة الأحذية، وأغطية الرأس، وصناعة الفراء.

وقد خلقت الخبرات والتقاليد المتوارثة للإنتاج الحرفي عبر القرون، الشروط الملائمة للتطور السريع لصناعة السجاد في لاهيج وانتشارها. ففي منتصف القرن العشرين تأسس هنا بالفعل طائفة أرباب حرفة السجاد. واستخدم الحرفيون والفنانون في فن السجاد الزخارف التقليدية المتنوعة للنحاسين الحرفيين اللاهيجيين، والحرفيين المهرة في صناعة الخلى، والحدادين وغيرهم. وبفضل ما يتحلى به سجاد لاهيج من نوعية فنية راقية، سرعان ما اكتسب شهرة واسعة، واحتل أهمية كبيرة في التصدير. فهو يتميز بجماله الفريد وتعدد ألوانه، ويتمتع بطلب كبير عليه في الأسواق العالمية. وقد أدى ظهور وتطور هذه الحرفة الجديدة في لاهيج، إلى التغير الجوهرى في العلاقات الاقتصادية والعلاقات الداخلية الأسرية في القرية. فقد تعزز اقتصاد لاهيج، حيث أن صناعة السجاد أصبحت تدر دخلاً كبيراً. بالإضافة إلى ذلك، فقد ازداد أهمية عمل المرأة، مما أدى إلى إلغاء التفرقة في أوضاع النساء.

وفي مجال الثقافة المادية للاهيج، ينبغى الإشارة إلى أن

قادر، والذي حاز جائزة مالية «مقابل الأنية النحاسية» (٦). كما حاز الحرفيون اللاهيجيون على النصيب الأكبر من النجاح في معرض فيينا الدولي المقام في عام ١٨٧٣. وفي النشرة الخاصة بالمعرض كُتب في هذا الصدد: «تشتهر قرية لاهيج (دائرة شيماخى) منذ القدم بالأواني النحاسية، ويمكن لهذه المجموعة من الأواني المعروضة في معرض فيينا تعزيز هذه الشهرة والارتفاع بصيتها. كما أن الأطباق، والكؤوس، والأقداح المعروضة، تتمتع بجمال يفوق العادة، وهي مميزة للغاية، وتُصنف بالمنتجات المتطورة من نوعها قولاً واحداً. كما أن الأواني بكاملها ثرية بالنقوش ومصقولة على نحو بديع» (٧).

وعلى هذا النحو، فإن فن الصُناع في لاهيج يشهد على التقاليد التاريخية الموهلة في عمق القرون للشعب الأذرى في مجال الفنون التطبيقية الزخرفية. كما أن الشاهد على الحرفية العالية للاهيجيين في إعداد المشغولات النحاسية، يتمثل في نماذج الحرف الأذربيجانية، تلك النماذج المحفوظة لدى مجموعات متاحف أوروبا. ففي متحف اللوفر يوجد بين نماذج المشغولات الأذربيجانية، أنية نحاسية من لاهيج. وفي متحف برن توجد نماذج للأسلحة النارية والأسلحة البيضاء من أذربيجان، وتبرز من بينها على وجه الخصوص البنادق، والسيوف والخناجر التي صنعها صناع السلاح اللاهيجيون، والثرية بالزخارف التي تزينها وتُطعمها (٨).

ومنذ القدم، كانت أكثر الحرف تطورا بعد صناعة المعادن في لاهيج، هي صناعة الجلود. فهناك حتى من أحياء لاهيج هو زافارو، والذي كان يسكنه بصورة رئيسة صناع الجلود، وكانت ورشهم ومنازلهم تُشيد على امتداد نهر داريل- إيا. وكان صناع الجلود المحليون يعدون جلد الماعز أفضل أنواع الجلود في القوقاز. ويرع صناع الجلود اللاهيجيون في صناعة الجلد المُحبب، وجلد الماعز، والجلود المدبوغة، والتي صنعوا منها كل المشغولات الممكنة من: الأحذية، والزنانير،

أيضاً، وذلك عند واجهات الورش وفوق الحوامل الخشبية التي كانت بدورها تمثل نوعاً مميزاً من الدكاكين.

وتتضمن الدراسات والأبحاث حول المشغولات اليدوية في القوقاز المعلومات حول عدد الورش النحاسية في لاهيج في القرن التاسع عشر. وهكذا، يشير أ. يفيتسكي إلى وجود مائتي دكانا للمشغولات النحاسية هنا (٤). غير أنه في نهاية القرن التاسع عشر تقلصت بصورة كبيرة أعداد هذه الورش، وذلك بسبب جلب المنتجات الروسية زهيدة الثمن المنتجة في المصانع. وبالإضافة إلى المنتجات النحاسية، فقد انكشمت أيضاً أنواع أخرى من الحرف، مثل: الحدادة، وصناعة الجلود، وصناعة الأسلحة.

وبصرف النظر عن الانكماش الكبير للإنتاج النحاسي، فحتى يومنا هذا ما زالت هذه الحرفة، من حيث التشكيل والمعدات والورش القائمة، تحتفظ بمظهرها التقليدي الخارجي، ووسائلها في صهر النحاس، وصب الألواح المعدنية وأساليب الطرق وصقل المشغولات. ويشهد على التنوع الكبير للمشغولات النحاسية المصادر المكتوبة، وكذلك المقتنيات الثرية بالأوانى النحاسية المحفوظة ضمن متاحف أذربيجان، وجورجيا، وروسيا، وأوروبا، تلك المقتنيات التي بلغ عددها في الماضي أكثر من ثمانين نوعاً. ويتم تطويع أغلب المشغولات المحلية في لاهيج وتزيينها بالنقوش الزخرفية. وكان هذا العمل يقوم به في العادة الحرفيون المتخصصون في عملية الصقل «الحكاك».

وتجدر الإشارة إلى أن الطلب النسبي على المشغولات النحاسية في لاهيج لم يرتفع فقط في أذربيجان، بل وفي كل القوقاز، وكذلك في داجستان وبلدان آسيا الصغرى والأمامية (٥).

لقد حازت دائماً المشغولات النحاسية في لاهيج تقديراً عالياً في مختلف المعارض. ففي معرض منتجات منطقة القوقاز المقام في عام ١٨٥٠، جرى الاحتفال بمُنتج الحرفي محمد



النحاسون اللاهيجيون، حيث استوطن الكثير منهم بالقرب من مصانع صهر النحاس. وعلى هذا النحو، فإن اللاهيجيين، بالإضافة إلى مشغولاتهم القيمة، كانوا كذلك «المُصدرين» للنحاسين البارعين المهرة.

وقد أسهم في التطور الرائع لصناعة المشغولات النحاسية اليدوية ومهد له ظهور عدد من الحرف المساعدة في لاهيج، مثل: السمكرة، والحدادة، وإنتاج الفحم الخشبي. وإجمالاً، ففي القرن التاسع عشر ازدهر في لاهيج حوالي أربعين نوعاً من الحرف والأفرع التكميلية لها (٣).

كان إنتاج النحاس يتركز بصورة رئيسية في حيّ «أقالى»، والذي يسمى كذلك «مسقيار بازاری» (سوق النحاسين)، وذلك بسبب العدد الكبير للورش النحاسية الواقعة على جانبي الشوارع. كما كانت المشغولات النحاسية المصنوعة تُباع هنا

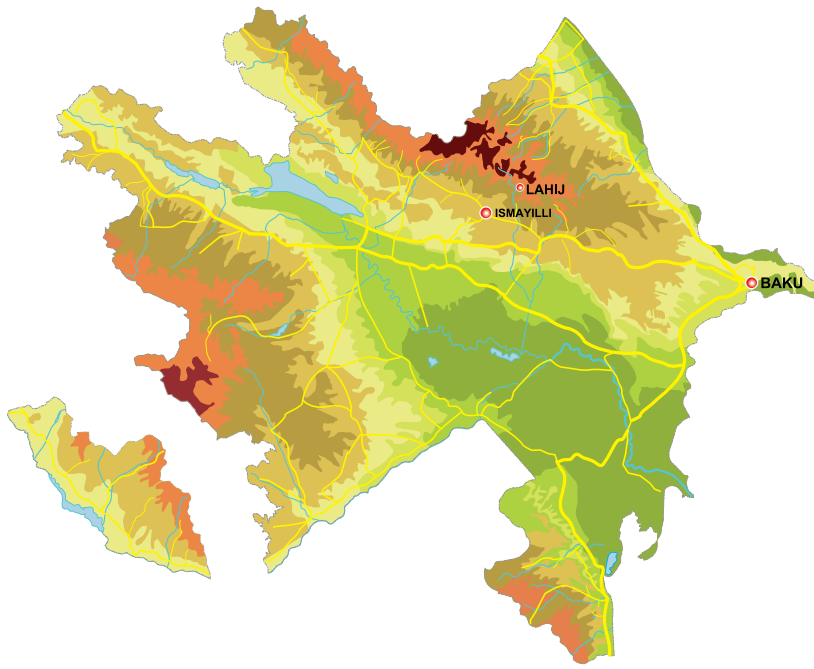


أنفسهم من السكان الأصليين لأذربيجان.

وقد اشتهرت لاهيج منذ أقدم العصور باعتبارها مركزا للمنتجات الحرفية، وعلى وجه الخصوص صناعة المشغولات النحاسية ذات الجودة الفنية العالية. وقد ترك تطور الحرف بصماته الخاصة هنا على حياة اللاهيجيين، وعلى شكل القرية نفسها في الماضي وفي الوقت الحاضر. وقد جذبت هذه البقعة الرائعة من بقاع أذربيجان، اهتمام الرحالة منذ أقدم العصور. وحتى يومنا هذا، ما زال السياح يأتون من كافة أرجاء العالم لزيارة لاهيج، ولدى وصولهم إلى أذربيجان يسعون في إصرار للذهاب إلى لاهيج (٢).

وحتى وقتنا هذا، فما زالت الوسائل والأساليب الشعبية هي التي تستخدم في صناعة المشغولات النحاسية في لاهيج. وقد بلغت المنتجات النحاسية في لاهيج قدرا عاليا من التطور. والأكثر من هذا، فإن تطور هذا الفرع في العديد من الأماكن الأخرى لأذربيجان، وفيما وراء القوقاز بأكمله، قد ساعد عليه

لاهيج - المحمية الطبيعية الثقافية التاريخية في أذربيجان



فهم يستخدمون اللغة الأذربيجانية على نطاق واسع. وحول أصل اللاهيجيين، فقد احتفظ السكان بعدد من الروايات التي تحكى عن أصلهم، وطبقاً لتلك الروايات فهم ينحدرون من لاجيجان الإيرانية (مقاطعة جيلان) من حيث الأصل. ويفترض المستشرق البارز ف. مينورسكى أن موقع واسم لاهيج المعاصرة يعود إلى إمارة لايزان، التي يأتي ذكرها في مصادر القرن الرابع الميلادي (١، ص ١٠٧). غير أن كل ما ذكر أعلاه لا يمنع السكان المحليين اعتبار

لاهيج هي - إحدى القرى القديمة في أذربيجان، وتعد الآن قرية تابعة لمنطقة الإسماعيلية في الجمهورية. وتقع لاهيج على السفوح الشرقية للقوقاز الكبير عند أسفل سلسلة جبال نيال، على ارتفاع ١٢٠٠ متراً عن سطح البحر. وتمتد القرية بطول الشاطئ الشرقى لنهر قيردمان-شاي. وتعود لغة سكان القرية الذين يعدون أنفسهم من التتانيين، إلى الفرع الإيراني الناطق باللغة الهندوأوروبية. ويتحدث معظم سكان لاهيج بلغتين: بالإضافة إلى لغتهم التتانية الأم،